

## الحرف التقليدية في قطر

المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث  
إدارة الثقافة والفنون

أحمد جاسم الصايغ  
فني حرفي شعبي

## الحرف التقليدية في قطر

أحمد جاسم الصايغ

حرفي شعبي

... البحث في هذا الموضوع طويل ومتشعب وله أبواب كثيرة لما للحرفة من دور هام في معيشة الإنسان وأمنه واستقراره، وقد كانت ولا تزال من المؤثرات البارزة في تطورها وارتقائها وهذا ما تعكسه ثقافة الأمم والشعوب المختلفة، وهي الجذور الموعلة في أعماق التاريخ، كما هي المرآة التي تعكس لنا طابع حياة الشعوب عبر الأزمان والعصور وتتخطى بذلك الحواجز والمسافات.

وفي قطر كانت الحرفة من أهم الحاجات الأساسية لبقاء الإنسان. على سبيل المثال حرفة الصيد هي المصدر الأساسي لحياة الإنسان الأول حيث كانت تغطي احتياجاته الأولية من الغذاء والملبس والسكن، وما لازم هذه الحرفة من أدوات ومهارات فردية واجتماعية وخبرات تم توارثها من الأجداد والآباء إلى الأبناء، وهذا التوارث وبدون شك وكما هو ظاهر من دراسة الحرفة تاريخيا هو السلم الذي استلما منه هذه الحرفة على هذا المستوى، فبدأ بشكل بدائي ثم تطور حسب الظروف والعوامل الاجتماعية والبيئية والدينية والثقافية، وهذا ما نلاحظه من خلال حرف اليوم.

فقد كانت الحرفة في تلك الحقبة من الزمان تشكل للمجتمع القطري العصب وقوام الحياة والعامل الأساسي من عوامل بقاء المجتمعات بل كانت شرطا بدونه لا تتم الحياة للإنسان، لأن الحرفة كانت تمثل المأكل والملبس والسكن الذي ليس للإنسان غنى عنهما إلى جانب أنها تمثل المكانة الاجتماعية والقبلية أو العائلية وبها تقاس وجهة الفرد.

كذلك كان الحافز من وراء تطوير الحرفة والتجديد فيها والمحاولة الدائمة والمستمرة للتطوير والنهوض بالحرفة.

أردت من هذه المقدمة الموجزة والسريعة أن ألقى الضوء على المؤثرات الأساسية والعوامل المهمة التي من وجهة نظر الكثير من الباحثين هي السبب الأول والحافز المهم في تطوير الحرفة وابتكار المستجدات من أساليب الإنتاج والتي لا يمكن أن نغفلها بحال من الأحوال.

كما أود أن أبين إن ما سبق ذكره يربط الحرفة والتطور بالحاجة الملحة لبقاء المجتمعات سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية، لأن المجتمعات القادرة على إنتاج احتياجات الإنسان الأساسية للاستهلاك الذاتي هي المجتمعات القادرة فقط على البقاء وغيرها لا محالة زائل.

### ... الحرف التقليدية في قطر

بعد نشأة القرية كظاهرة اجتماعية في اتجاه الاستقرار وتوجه الإنسان إلى الزراعة ومن ثم إلى البحر، اتخذت الحرف شيئاً من الخصوصية بعد أن كانت تمارس بشكل جماعي.

تقسم الحرف إلى عدة أقسام وفق ما تتطلبه البيئة المحلية من احتياجات ضرورية، وظروف المعيشة في تلك الفترة الزمنية... وهي كالآتي :

- 1 - الحرف المتعلقة بالأنشطة البحرية
- 2 - الحرف المتعلقة بالأنشطة المدنية
- 3 - الحرف المتعلقة بالأنشطة اليدوية

- 4 - الحرف المتعلقة بالأنشطة الزراعية
- 5 - الحرف المتعلقة بالأنشطة الخارجية
- 6 - الحرف المتعلقة بالأنشطة الداخلية
- 7 - الحرف المتعلقة بعمل المرآة

فكان نشاط عشرات الحرف التخصصية، ولكل حرفة لوازم عمل ومصطلحات وسلم تعليمي، ولغة خاصة بها، وأمازيج تؤدي خلال العمل، وروايات في طرق الصناعة، وحكايات وأمثال وأغاز شعبية، وأسرار مهنية، وكان للبيئة طابع محلي وشكلت مؤثرا اجتماعيًا.

- ١ -

على سبيل المثال، الحرف البحرية...

- النوخة
- السكوني
- المجدمي
- التباب
- الرضيف
- راعي الشيرة
- الطباخ
- البحارة
- الغواص
- السيب
- الكاتب
- التاجر
- السماج

- المروب
- القلاف
- العبار
- الطواش
- المعمل
- اليرار
- الدليل

إن هذه الأسماء حرف تخصصية كانت شائعة في ماضي قطر.

- 1- أين هي اليوم ؟
- 2- وما هي أدوات أصحابها ؟
- 3- وكيف عملوا بها ؟
- 4- وأين حصيلة خبراتهم المتراكمة عبر السنين الماضية؟

وتجدر الإشارة إلى ضرورة تحديد الهدف العام من وراء إبراز الحرف الشعبية على الشكل الصحيح، والذي يجب أن يكون من الأهداف الوطنية والقومية وأن لا تكون الأهداف بشكل إجمالي، والاتجاه إلى جعل الهدف من الإبقاء على الحرفة هدفا ثانويا، كأن يكون غرض البحث في هذا المجال هو على أساس الهوية والاحتفاظ بميراث الأجداد في معارض النزهة والتسلية.

ويجب ألا ننسى أن الكنز الموروث من الأجداد بشكل محصلة تاريخية لكل الجهد والعناء الذي بذل في سبيل تطوير الحرف إلى أن وصل إلى أيدينا، علينا أن نحسن استخدامه وتطويره في القالب الوظيفي المطلوب منه، قد يكون مصدراً هاماً من مصادر الدخل الذي طالما بحثنا عنه في خارج تراثنا وذهبنا نستجديه من

الحضارات الأخرى، ويكون كذلك ذخرا قوميا للأجيال بعد نفاذ مصادر الدخل الأخرى.

كما يجب أن نضع في الاعتبار أن هذا الميراث سلمه لنا الأباء بأمانة بغض النظر عن الظروف والحيثيات التي لازمت هذا التسليم، لذا فإنها مسؤولية عظيمة أن يكون الجيل الحاضر أمينا على هذا الميراث وتكون على مفترق الطرق وبأيدنا قرار المحافظة على هذا الجزء من التراث أو الإعدام والتجميد لهذا التراث الضخم، والذي سوف نكون محاسبين عنه أمام الله والتاريخ والأجيال القادمة، ومن العهد الأول إلى يومنا هذا والحرفة تنتقل وتتطور عبر العصور والأزمات لتقابل احتياجات الإنسان من سد جوعه وستر عورته وتوفير مأوى يأمن فيه وسائل دفاعه. والحرفة كذلك تطورت عبر الأصلاب والعقول حيث سايرت الحرفة التطور في الميادين الأخرى فكان للتعليم الأثر البالغ في ابتكار الأساليب الجديدة في نوعية المنتج كما وكيفا ووظيفة وكان للثقافة دور مؤثر أدخل على المنتج والأدوات المستخدمة جمالا وزخرفة.

وعلى النقيض من ذلك كان هناك جمود وتقليد ثابت لبعض الحرف وعدم مواكبة المستجدات أدى ذلك إلى تراجع في بعض أنواع الحرف والأدوات المستخدمة فيها وكذلك أثر بدوره على المنتج النهائي، وأدى ذلك إلى انخفاض الطلب على المنتج أو السلعة مما أدى وبطريق مباشر إلى انخفاض عدد العاملين بتلك الحرف تدريجيا مما أوصل الحرفة إلى التلاشي التدريجي.

ومن النقطتين السابقتين نصل إلى استنتاج وهو أن بقاء الحرفة أو تلاشيها يعتمد على مقدار وحجم ما تصبه المجتمعات من اهتمام لجعل عوامل بقاء الحرف في ذاتها ما تقدمه الحرفة في مقابل احتياجات الأفراد والمجتمعات. وأيضا مقدار التطور الذي أدخل ومنتجها النهائي، ويجب أن لا ننسى أحد العوامل المهمة وهو

الرغبة في الإبقاء على الطابع الديني والتقليدي والمقاييس الجمالية في تلك المجتمعات، كما هو الحال في ما أضافته الحضارة العربية الإسلامية من طابع على شكل الحرفة ووظيفتها، مما يؤكد على أن بقاء الحرف وتغطيتها لحاجة من الاحتياجات ودوام الطلب عليها لا ينفصل عن ما أضافته تلك الحضارة بأي حال من الأحوال، كما لا يخفي أن تلاشي حرفة من الحرف في أي مجتمع من المجتمعات يعني تلاشي كمّ كبير من المخزون الفني الذي وصل إلينا على شكل (حرفة) وهذا الكمّ المتلاشي يشكل خسارة اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية وذلك يعني أن اندثار الحرف قد يقود إلى اندثار حضارات وبالعكس فإن تطور الحرفة قد ينمّي حضارات وقد يساعد على ميلاد حضارات أخرى.